

الخصوصية المنهجية الافتراضية لتدريس شعب الدراسات الإسلامية بالجامعة- رؤية إستشرافية لطرق التدريس الحديثة.

The Methodological Specificity of Virtual Teaching in Islamic Studies at the University: A Foresight Vision for Modern Teaching Methods

جير الزهرة¹ ♦ ، جيلاني كويبي معاشو²

جامعة غرداية ، ¹ djir.zohra@univ-ghardaia.dz .

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر ، ² m.djilanikobibi@univ-mascara.dz .

تاريخ الإرسال: 2024 /09 /30 ؛ تاريخ القبول: 2024 /10 /16 ؛ تاريخ النشر: 2024 /12 /01

المخلص:

تتميز العلوم بصفة عامة بخاصية الأداء البيداغوجي الإلزامي والمنهجي الذي يصنع الأهداف تماما مثلها تتميز به الدراسات الإسلامية التي تنفرد بالإضافة إلى ذلك بخصوصية استعمال النص المقدس وانفراد الطاقم البيداغوجي وشخصية المدرس على وجه التحديد بميزة الاستثناء مع إجبارية التعرّيج بالإجماع على القوانين الوضعية التي غالبا ما تكون للإصلاح، وحتى لا تزول نجاعة هذه العلوم وتتقوى فعاليتها وجب الاحتكام إلى شروط وتدابير بنوية على مستوى هاته المؤسسات، بحيث لا نحتكم منهجيا على قوة النص فحسب بل وجب علينا أن نعود للمد التاريخي أو بالأحرى إلى لحظة التدشين أو المأسسة الأولى لهذه المعاهد والهيآت العلمية الأخرى التي تقوم بهذا النوع من الدراسات، خاصة وأن الارتباط مع المجتمع من مختلف الجوانب يحيلنا كباحثين إلى الإطلاع على هذا التواصل بغية القياس والفهم، وحتى نتحصل بأسلوب تكويني خاص جدا يجمع بين قوة المادة المدرسة وحداثة الانتماء المؤسساتي عرجنا على معهد العلوم الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة وقسم الحضارة والشريعة بجامعة وهران لمقاربة الموضوع

♦ جير الزهرة

ومحاولة إعطاء اللمسة السوسولوجية لخصوصية المنهجية المتبعة في تدريس هذه العلوم.

الكلمات المفتاحية:

طرق التدريس؛ شعب الدراسات الإسلامية؛ الخصوصية المنهجية؛ الجامعة؛ التعليم العالي.

Abstract: Sciences, in general, are characterized by a mandatory pedagogical and methodological framework that defines objectives, just as Islamic studies stand out for their specific use of sacred texts. Furthermore, the teaching staff, particularly the personality of the educator, possess exceptional characteristics while being required to consider positive laws that are often geared towards reform. To maintain the effectiveness of these disciplines and enhance their impact, it is necessary to adhere to structural conditions and measures within these institutions. Thus, it is not enough to rely solely on the strength of the text; it is also imperative to return to the historical context, or rather to the inaugural moment of the establishment of these institutes and other academic entities dedicated to such studies. Indeed, the connection with society, in various aspects, prompts us, as researchers, to explore this interaction in order to measure and understand. This allows us to develop a unique training approach that combines the robustness of the taught material with the modernity of institutional affiliation. We will examine the Institute of Islamic Sciences at the Emir Abdelkader University in Constantine and the Department of Civilization and Law at the University of Oran to address this topic and attempt to provide a sociological perspective on the specificity of the methodology employed in teaching these sciences.

Key words : Teaching methods ; Islamic studies departments; Methodological specificity ; University ; Higher education

مقدمة:

تعتبر منهجية وطرق تدريس العلوم الإسلامية إحدى أهم مخططات التعليم الجامعي، بل وبمثابة عمودها الفقري التي تسعى إلى تحقيق الإلهام بالمادة نفسها إضافة إلى تحقيق الطموحات في شخصية الطلبة، كون أن طرق التدريس في حد ذاتها تعتبر

همزة الوصل بين الطالب والمنهج، وبين الأستاذ و طلبته، وبالتالي فهي من المكونات الأساسية التي تدعم نجاح عملية التعليم والتعلم.

إلا أن ما تشهده المجتمعات العربية الإسلامية من ثورة علمية وتكنولوجية هائلة، جعل الجامعات الجزائرية بصفة عامة وجامعات العلوم الإسلامية على وجه الخصوص غير قادرة على مواكبة مختلف التطورات العلمية زيادة على عدم قدرة الأساليب والطرائق التدريسية التقليدية على تطوير مختلف المهارات المعرفية والخبرات التعليمية بالنسبة للأساتذة والطلبة على حد سواء. وعلى الرغم من تأكيد مجمل الأدبيات التربوية والدراسات الحديثة على تطوير وتفعيل أساليب وطرائق التدريس بشكل ينهض بدور المتعلم وجعله محور العملية التعليمية، إلا أنه ما تزال العملية التعليمية في حد ذاتها عقيمة تقتصر دور المتعلم في الاستماع والتلقين دون المشاركة بشكل فاعل في عملية التدريس لأن "طرق التدريس المعتمدة، تعتمد بالدرجة الأولى على الإلقاء، حيث أن العالم أو الشيخ أو الفقيه يقدم الدروس، بينما يقتصر دور الطالب على تلقي المعرفة، وبالتالي يكون دوره سلبيًا. تستمر هذه الممارسات إلى أن يصل الطالب إلى مرحلة يبدأ فيها بدوره في إلقاء الدروس في الكتّاب أو المسجد قبل الالتحاق بالتدريس بالمدرسة أو الجامعة" (غياث بوفلجة، 2002: 36).

إن هذا الإغفال لطرائق التدريس الحديثة وعدم الاستفادة منها في تدريس شعب العلوم الإسلامية (الشرعية) جعل دور الأساتذة ينحصر بتحفيظ المادة المدرّسة للطلبة دون أن يكون الطلبة على علم بمعنى ما يحفظون. وفي ضوء ما سبق يمكن صياغة مشكلة البحث الحالي بالتساؤلات التالية:

ما هو واقع تدريس شعب العلوم الإسلامية بالجامعة الجزائرية؟ وما هي سبل تفعيل و تطوير طرق التدريس لهذه الشعب؟

1- الإطار المنهجي للدراسة

1.1 أهمية الدراسة:

تبرز أهمية البحث الحالي في ما يلي:

- تبيان الخصوصية المنهجية الافتراضية التي ينتهجها أساتذة الشعب الإسلامية في طرق تدريسهم.

- تبيان أهمية العلوم الإسلامية بمختلف تخصصاتها بما تسعى إليه من فهم للحاضر وتقويم مشكلاته الحضارية، لأن الأحداث الراهنة ما هي إلا نتاج لأحداث وظروف مرّت وانتهت.
- أهمية الاتجاه الديني في حياة الشباب الجامعي، لأن المرحلة الجامعية هي مرحلة تقرير المصير وتحديد المسار الذي يريد الفرد انتهاجه.
- أهمية المرحلة الجامعية في حدّ ذاتها، كون الطلاب يحاولون بلورة وصقل شخصياتهم وتكوين معارف علمية وأكاديمية تمكنهم من فهم الواقع الاجتماعي والحضاري الذي يعايشونه أمام التحديات التكنولوجية الحديثة والعولمة.

2.1 هدف البحث:

يرمي البحث الحالي إلى فهم واقع تدريس شعب العلوم الإسلامية في الجامعة الجزائرية مع محاولة إعطاء السبل والاستراتيجيات التي تمكن من تفعيل وتطوير طرق التدريس الحديثة على مستوى التطبيق الفعلي، وذلك استجابة لما يعايشه المجتمع الجزائري من تغيرات اجتماعية، ثقافية واقتصادية ... إضافة إلى الزخم المعرفي والثورة التكنولوجية.

3.1 منهج الدراسة و التقنية المتبعة:

سنحاول من خلال هذه الدراسة استخدام المنهج الكيفي التحليلي، وذلك حسب موضوع الدراسة، حيث أنه يساعد على وصف الظاهرة، انطلاقا من جمع البيانات والمعلومات وتبويبها وتحليلها، فهو يعتبر الطريقة المنظمة لدراسة حقائق راهنة متعلقة بظاهرة ما وتقديم تحليل دقيق ومعمق حولها، بهدف اكتشاف حقائق جديدة أو التحقق من حقائق موجودة والعلاقات التي تتصل بها وتفسيرها، وكذا كشف الجوانب المختلفة لها والقوانين التي تخضع لها للوصول إلى نتائج التي تساهم في تراكم وتقديم المعرفة الإنسانية.

أما عن تقنية البحث، فقد استخدمنا تقنية المقابلة باعتبارها أقرب لموضوع الدراسة فهي تقنية تربط الباحث بالمبحوث بطريقة مباشرة تستعمل من أجل مساءلة الأفراد سواء بطريقة منعزلة أو جماعية.

4.1 عينة الدراسة:

يعتبر مجتمع البحث " مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى والتي يجرى عليها البحث أو التقصي "(موريس أنجرس، 2006: 298). لقد استخدمنا في هذه الدراسة عينة عشوائية - حسب طبيعة الموضوع- شملت 10مبحوثين 06 أساتذة من جامعة الحضارة الإسلامية بمدينة وهران ، و 04 أساتذة من جامعة الأمير عبد القادر بولاية قسنطينة.

5.1 مفاهيم الدراسة:

1.5.1 طريقة التدريس:

يقصد بها " الطريقة التي يستخدمها المعلم في توصيل محتوى المنهج للطالب أثناء قيامه بالعملية التعليمية"(دعمس مصطفى نمر، 2008: 62) وعليه يمكن القول أن طريقة التدريس تعبر عن مختلف الإجراءات التي يقوم بها المدرس(المعلم) في موقف تعليمي معين.

2.5.1 شعب العلوم الإسلامية:

نقصد بها مختلف التخصصات العلمية التي تعنى بالتدريس الأكاديمي لمجموعة العلوم الشرعية التي تفرعت عن الكتاب والسنة والتي تتمثل في علوم القرآن والحديث بالإضافة إلى الفقه وأصوله، التفسير، العقيدة ، الحضارة الإسلامية...

2- تدريس شعب العلوم الإسلامية بين المنهجية الإلزامية والافتراضية:

تعتبر عملية تدريس العلوم الإسلامية (الشرعية) ذات أهمية بالغة من حيث الوجود ومن حيث البناء والنسق والسياق الذي ينبغي أن تدرس ضمنه، باعتبار أن هذا التخصص شديد الحساسية والارتباط بالسلوك البشري، ونتائجه لا تخفى في صناعة الشخصية وصبغتها وصيانتها.

ينبغي التنويه لمختلف الأدوار التي تقوم بها الهيئة التدريسية في المنظومة الجامعية، ذلك أن الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع تطبيق وتجسيد لما يتم عرضه في هذا التخصص، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالجانب العقدي والفكري.

إن هذه المؤشرات والأبعاد تلزمننا الثاني في النظر وتوخي الحذر في كل جوانب العملية التعليمية، خصوصا مسألة التأطير ومضمون المقررات الدراسية ومن ثم المتلقي، كون أن جوانب الممارسة البيداغوجية تلزم الأستاذ المؤطر الالتزام بمنهجية خاصة بالتدريس الجامعي، حيث أن هذه المنهجية يشترك فيها جميع الطاقم التدريسي لمختلف التخصصات والشعب، إلا أن مؤطري شعب الدراسات الإسلامية ييحدون لأنفسهم الإنفراد ببعض الخصوصية المنهجية في طرق التدريس كونهم يمتازون بخاصية استعمال النص المقدس (القرآن والحديث) ومختلف ما فسره العلماء الأوائل من اجتهادات وتفسيرات. إن هذا الاستثناء في شخصية المدرس (المؤطر) لم يأتي عبثاً، حيث تم مساءلة أحد الأساتذة حول مصدر هذا الاستثناء إذا ما استبعدنا خاصية تدريس النص المقدس فأجاب قائلاً: "لقد تكوننا من خيرة الأساتذة المغاربة والمشاركة أمثال الشيخ الغزالي والبوطي والقرضاوي... وهو أمر يضيف إلينا ميزة استثناء التكوين في حد ذاته في مختلف تخصصات العلوم الشرعية" إن هذا الباحث يحيلنا إلى اعتبار أن الأساتذة الأوائل الذين تتلمذوا على أيديهم في جامعة العلوم والحضارة الإسلامية بالجزائر يفتخرون بكونهم تعلموا العلم الصحيح من الشيوخ والأساتذة الذين لديهم مؤهلات علمية معتبرة بالمقارنة مع بعض الأساتذة والدعاة في نفس التخصص، كما أن هذا الاستثناء يظهر بشكل واضح وجلي عند فئات عمرية دون الأخرى من حيث درجة هذا الاستثناء، حيث أن بعض الأساتذة الذين ينتمون إلى فئات عمرية صغرى، يرجعون الاستثناء إلى العلوم الإسلامية في حد ذاتها دون العلوم الأخرى التي تستخدم مصدر القرآن والحديث.... وبالتالي يمكن القول أن أساتذة العلوم الشرعية قد خلقوا لأنفسهم منهجية خاصة واستثنائية تميزهم عن باقي الأساتذة وباقي التكوينات والتخصصات الأخرى مرتكزين بالأساس على تقديس القرآن، الحديث، التفسير، الفقه وأصوله بالإضافة إلى عامل تكوين وتأطير الأساتذة بالجامعة الجزائرية، الأمر الذي أدى إلى إضفاء الشرعية والقدسية للعلوم الإسلامية (الشرعية) على حساب العلوم الإنسانية والاجتماعية مثلاً، أو على الفلسفة، الرياضيات والطبيعية... هذه العلوم التي من شأنها النهوض بالأمة والحضارة الإسلامية على سابق عهدها حين كان الألوسي، ابن الهيثم، ابن سينا، الفارابي والخوارزمي.... وغيرهم ممن ساهموا في تطور وازدهار الحضارة الإسلامية.

3- واقع تدريس شعب العلوم الإسلامية في الجامعة الجزائرية:

إن الحديث عن واقع تدريس العلوم الإسلامية في الجامعة الجزائرية حديث متواصل ومتجدد مستوحى من مراجعة الذات وتقويم العملية التعليمية، حيث أنه

يتوجب على الباحثين في شتى تخصصاتهم البحث في سبل تطوير التدريس وتطوير المهارات الاجتماعية لأساتذة التعليم الشرعي الجامعي. وبالتالي فواقع تدريس العلوم الشرعية في الجامعة لا يزال بحاجة إلى المزيد من الدراسات والبحوث التقويمية للوقوف على حيثيات تطوره واستجاباته للظروف المستجدة، حيث يصرح أحد المبحوثين (أستاذ أصول الشريعة) بأن "مسألة تطوير وتجديد طرق تدريس العلوم الإسلامية بمختلف تخصصاتها ليس من حقنا فحسب، بل وواجب علينا، ينبغي العمل المضني والجاد والبحث عن أساليب لتطوير طرق التدريس".

ينبغي الإشارة إلى أن أغلبية الأساتذة المبحوثين لا يزالون يؤدون مهامهم التقليدية في التدريس وذلك عن طريق تركيزهم الكبير على حفظ المعلومات وتلقين مختلف ما ورد في المقررات الدراسية بمختلف محتوياتها، كما ويلاحظ من خلال سبر آرائهم أنهم لا يولون الاهتمام بطرق تنمية التفكير النقدي والإبداعي بالإضافة إلى عملية اكتساب المهارات العقلية والاجتماعية من أجل تطوير تدريس هذه الشعب، ومن ثم دراسة مختلف المواضيع الراهنة وفق ما تقتضيه الشريعة ومختلف حيثيات وجوانب الظاهرة من فلسفة، علم نفس، علم اجتماع، علم اقتصاد.... من خلال إدخال مختلف المناهج مثلاً في مسألة قراءة القرآن وتفسيره أو كما يعبر عنها جموع الفلاسفة بمسألة تأويل النص الديني وتقكيكه مع مراعاة أسباب وظروف النزول، وبالتالي إمكانية إعادة قراءة النص القرآني بالمناهج التفكيرية الجديدة وفهمه ومن ثم تفسيره بالاعتماد مثلاً على أعمال محمد عابد الجابري، محمد أركون، بول ريكور... لأن العلوم الإسلامية بمختلف تخصصاتها لطالما عانت ولا زالت تعاني الاستقرار والجمود إلى حد الركود في طريقة التعامل مع العلوم الشرعية من حيث التعلم والتعليم، التأليف والتدريس، كما أنه لا يجوز المساس باجتهادات العلماء الأولين لأن القراءات والتفاسير السابقة أحيطت بهالة التقديس شأنها شأن القرآن والحديث التي لا يجوز فيها التعديل والتبديل، ولا الزيادة أو النقصان في مضامينها، وها هنا تبرز أهمية خلق المهارات الجديدة في طرق التفكير الإبداعي لدى طلبة العلوم الشرعية وباحثيها بالدرجة الأولى، لأنهم سيهيئون لمهامهم المستقبلية في تفسير الوقائع الاجتماعية التي تطرأ على المجتمع ومحاولة إعطاء حل للمشكلات الاجتماعية من الناحية الفقهية والتفسيرية وكذا التأويلية مع مراعاة مختلف ظروف الحياة النفسية، الاجتماعية والاقتصادية... لأن طرق التدريس التقليدية هذه جعلت من تدريس العلوم الإسلامية شبيه ولصيق التاريخ على غرار الواقع الاجتماعي اليومي للمسلمين.

نحن هنا لا نقصد بالطبع التخلي عن تراثنا وماضيها في التدريس لأنه جزء لا يتجزأ من تلك العلوم، ولكن ينبغي التجديد والتطوير على أساس الوعي بالواقع والتعامل معه وفق ما يقتضيه التشريع الإسلامي وذلك كله من أجل علاج الواقع الاجتماعي المعاش بمختلف تحدياته وصعوباته. وعليه فإن للعلوم الإسلامية أحكام تحكم مناهج الحياة وأخلاق تضبط عملية سير الحياة الاجتماعية بمختلف تقاعلاتها، وبما أن العالم العربي الإسلامي يتسم مؤخرا بجملة من التغيرات السياسية، الاجتماعية والثقافية... فالحاجة ملحة لإعادة النظر في مقررات العلوم الإسلامية من أجل ملائمة ومواءمة هذه المقررات بمختلف الظروف الحاصلة في بنية المجتمع الجزائري.

إننا بحاجة ماسة إلى تطوير المناهج وأساليب تدريس العلوم الإسلامية وربطها بالواقع من أجل المساهمة إلى إعادتها من أجل القيام بوظيفتها الاجتماعية وإقصاء الطابع التاريخي الذي لطالها اكتسبها وطلب المساعدة من الخبراء الاقتصاديين، الاجتماعيين، التربويين، السياسيين.... وغيرها من المعارف الضرورية من أجل تطوير طرق التدريس وطرق التعامل البسيكو-بيداغوجية بين الهيئة التدريسية والهيئة التعليمية في ظل العلاقات الإنسانية العامة.

لعلنا لا نقول جديدا حيث نشير إلى حقيقة نقل الأفكار وطريقة صياغتها من جيل لآخر وفق ما تعلمه الجيل الأول، لأن الكثير من أساتذة هذه العلوم قد سبق أن تلقوا علومهم ومعارفهم في عدد من الجامعات الإسلامية المجاورة خصوصا المغربية، التونسية وحتى المصرية... والتي لطالما تبنت على العموم طريقة الإلقاء (المحاضرة) والتلقين، كونه الأسلوب الغالب في جامعاتنا المحلية، وعليه فالاتجاه التقليدي في تدريس العلوم الإسلامية يعتمد أساسا على التلقين من جانب المدرس وعلى الحفظ والاستذكار من قبل المتعلم. فزيادة على تكوين الأساتذة بالطرق التقليدية يمكن تفسير شيوع هذا النوع من التدريس (طرق التلقين) إلى مشكلة الأعداد الكبيرة من المتعلمين إذا ما قورن بأعداد الطلبة سابقا، والقاعات الدراسية الكبيرة، وزيادة نصاب المدرس وضعف تجهيز المختبرات... كل هذه العوامل تجعل المدرس يفضل استعماله لهذه الطريقة دون غيرها، كونها تجعله سيد الموقف التعليمي والمتحكم الوحيد والمصدر الأساسي للمعرفة دون الاهتمام بمختلف الجوانب الأخرى للعملية التعليمية التي تتمثل في إكساب المتعلمين مختلف المهارات الفكرية، الإبداعية وتنمية ميوله واتجاهاته وقدراته على التعليم الذاتي.

كما أن الخلل لا يكمن في نظام التدريس التقليدي فقط، ولكن المشكلة تكمن في جملة التغيرات المحيطة بالتعليم دون مواءمة وملائمة نظام التدريس مع المستجدات

الحاصلة حيث أن الزخم المعرفي والتدفق الفكري والضخ الفضائي إضافة إلى شبكات الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بما تضخه من معلومات غير متناهية، قد يجعل المتلقي لجملة هذه المعارف والأفكار في حيرة من أمره من حيث تلقيه لمعلومات متناقضة، وقد تكون دخيلة على فكره ومعتقداته، الأمر الذي سيؤدي لا محالة إلى التقليل من دور الجامعة التعليمي كمصدر وحيد للمعرفة، لأن هذه التناقضات من شأنها أن تؤدي إلى نفور المتعلمين وعزوفهم عن الجدية في المذاكرة، وانخفاض دافعيتهم للتعلم. فهل تشير هذه المؤشرات إلى عدم تطور المقررات التدريسية لمواكبة مختلف التغيرات الحاصلة في الساحة العربية؟؟

يقول أحد المبحوثين " أثناء إلقاء المحاضرة لا نجد تجاوبا ونقاشا حادا بينما نحن الأساتذة وبين الطلبة رغم محاولتنا المستمرة في التساؤلات والنقاش، إلا البعض الذين لديهم حب الاطلاع والتساؤل". نلاحظ من خلال تصريح المبحوث الذي تحدث بصيغة الجمع أن أغلبية أساتذة العلوم الإسلامية يجدون صعوبة في التعاطي مع الطلبة في ظل غياب الحوار والنقاش الذي من شأنه أن يؤدي إلى تنمية المهارات والنقاش الذي من شأنه أن يؤدي إلى تنمية المهارات (النفسية والاجتماعية وكذا التفكيرية) والنقاش بحرية مع أساتذة العلوم الشرعية، وغياب المعرفة الدينية ومقارباتها النفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية... لمختلف المقاييس المدرسة، بالإضافة إلى عدم مشاركة الطلبة في تحضيرهم لدروسهم ومقرراتهم الدراسية خاصة إذا ما تحدثنا عن عنصر التفكير الذي يعتبر أهم عنصر في تعلم العلوم الشرعية في مختلف التخصصات الإسلامية، وأبرزها: الفقه وأصوله والتفسير لأن أغلبية الطلبة يرجعون بضاعة الأستاذ التي تلقوها من المحاضرة الملقنة خلال امتحاناتهم الكتابية ليصبح الطلبة بذلك عاجزين عن فحوى المواد المدرسة ومن ثم تفكيرهم في المقياس نفسه مكتفين بذلك بحفظ واستظهار ما تلقوه، وهذه أكبر مشكلة تصيب تحصيل المعرفة وتكوين طلبة العلوم الإسلامية أين يكونون غير قادرين وعاجزين على حل المشكلات والنقاش الفعال لمختلف المواضيع.

4- العلوم الإسلامية، العولمة، المعلوماتية واستشراف المستقبل:

تعتبر عملية استشراف مستقبل التعليم الجامعي للعلوم الإسلامية في حد ذاتها عملية إكساب المتعلم طرق ومهارات في التفكير والقدرة على الابتكار والإبداع وكذا حل مختلف المشاكل، لأن التقدم العلمي والضخ المعرفي الهائل يتطلب من الباحثين الأكاديميين والتربويين جهودا هائلة وسريعة تواكب مختلف التغيرات الاجتماعية، الثقافية...والأصبحت أوعية بالية وفارغة في نفس الوقت غير قادرين على إعادة إنتاج

المعرفة نفسها وتحيين حضارتنا في ظل التقدم العلمي، وينبغي الإشارة أن الشريعة الإسلامية في حد ذاتها تحت على مواكبة الحضارة والتحضر واستثمار هذه الحضارة في إنتاج كوادرات أصالة دينية ومعاصرة معرفية وتكنولوجية عن طريق مختلف الأوعية المعلوماتية من تعلم وتعليم إلكتروني، هواتف، حواسيب..... بغية توظيفها الموضوعي والعقلاني خدمة للتخصص في حد ذاته وخدمة للمجتمع ورفي البحث العلمي الإسلامي.

وعليه، ف"الوسائل الحديثة في التعليم تتناسب مع التطور الحادث في مجال التربية والتعليم التي تخطت أساليب الحفظ والتلقين، لذلك فإن استعمال الوسائل الحديثة سينعكس على مجتمعاتنا تطوراً وتقدماً" (محجوب عباس، 2006: 82) من خلال مختلف المؤسسات التنشئية التي تقوم بعملية تطبيع وتشكيل الفرد الاجتماعي.

5- إعداد الأستاذ والطالب الباحث في ظل العولمة:

إن الحديث عن مستقبل التعليم الجامعي في ظل العولمة حديث عما تضطرب به مكونات هيئة التدريس الجامعي في حركيتها الحاضرة، لأن المستقبل ليس حالة تقف في انتظارها، بل هي حركة ذات إيقاع ديناميكي أخلاقي يولد وينتج من خلال ما نصنعه اليوم، وهذا ما يشكل تحدي المستقبل الذي يولد معنا في حياتنا اليومية ونتفاعل مع منجزاته العلمية والتكنولوجية بدرجات متفاوتة. وعليه وجب علينا التركيز على إيجابيات العولمة بغض النظر عن سلبياتها عن طريق استثمار مختلف الوسائل والأساليب الحديثة والمناهج التي تقيدنا في فهم واقع الأمة الإسلامية بغية الخروج من مأزقها التاريخي التي لا تزال تتخبط في ظل سلطة النص الديني عوض سيادته، لأننا نؤمن إيماناً مطلقاً أن تراثنا الديني يتمتع بالتمديد والتمطيط في مخيلنا الثقافي وعبر تاريخنا الثقافي والاجتماعي... عوض تسلطه وثقله وثبوته ومن ثمّ تحجره ليصبح حتمية لا حرية، وها هنا يذهب المعنى الجلي لتراثنا الديني ويمنع الاشتغال عليه وفق أساليب جدية وجديدة تمكّننا الخروج من بوتقة التقديس والتبجيل والتاريخ المزيف أحياناً، وهنا ستكون مسؤولية الأساتذة كبيرة في محاولة تغيير المنظومة الجامعية، حيث يشير أحد المبحوثين (أستاذ بجامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة-) قائلاً "إذا أردنا أن نغير التعليم الجامعي وتغيير ذهنية الطلبة في التعلم، ينبغي علينا تغيير أنفسنا أولاً من حيث تغيير طرق تدريسيها، وتغيير أنماط تفكيرنا بالدرجة الأولى لكي نغير أولادنا الطلبة، وأن نحترم البحث العلمي الإسلامي في أنفسنا بدل نقد الآخر والطلبة" مستدلاً بقول الله تعالى "لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"

انطلاقاً من هنا يمكن القول أن أساتذة الشعب الإسلامية على وعي ودراية بواقعهم التدريسي التقليدي الذي لا يحفز على التفكير و الإبداع ، وعلى دراية بالعمل الذي ينتظرهم في السنوات القادمة من أجل النهوض بجدية التعليم الجامعي ومسايرة تحديات العولمة والمعلوماتية خصوصاً ما تعلق منها بدراسة التراث الإسلامي. وعليه ينبغي تظافر جهود الأكاديميين في مختلف التخصصات من أجل مقارنة الظاهرة من مختلف حيثياتها، كما أن هذه الأخيرة بحاجة ماسة إلى التنوع والمرونة في المناهج والمنهجية التدريسية على وجه الخصوص.

إن تعليم شعب الدراسات الشرعية في الجامعة الجزائرية لطالما قام بدور محوري في دفع عجلة نمو التعليم وتطويره، إلا أن المرحلة السابقة كانت مرحلة صعبة ومليئة بالتحديات خصوصاً ما أفرزته محنة العشرية السوداء التي أبطأت إن لم نقل جمدت وتيرة سير التعليم الجامعي بمختلف تخصصاته، كما أن المرحلة القادمة ستكون مليئة بالتحديات ولكنها في نفس الوقت تحمل فرصاً من ذهب للتغيير نحو الأفضل والأصلح لنظام التعليم الجامعي، وانطلاقاً من تراكمات التجارب السابقة ومعطيات المرحلة المعاصرة واستشراف المستقبل الآتي، فإن تعليم العلوم الإسلامية في الجامعة الجزائرية مقبل على تغييرات جذرية سيساهم بطريقة أو بأخرى في إعادة النظر في الدور المستقبلي لهذا القطاع المهم والذي يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

- تهيئة طلبة العلوم الشرعية وإعدادهم للاعتماد على التعلم الذاتي المستمر.
- تغيير أنماط وأساليب التدريس التقليدية وتحديث طرق تقديم الامتحانات لتعتمد على التحليل والإبداع.
- تدريب وتكوين المعلم والمتعلم (الأستاذ الباحث والطالب) على الابتكار وطرق التفكير الإيجابية مما يساهم في توليد الأفكار الجديدة، خاصة في تخصصات التفسير والفقه.
- "تعزيز قدرات الهيئة التدريسية وتجديد كفاياتها من خلال توفير برامج الإنماء المهني المتطورة والمستمرة" (الربيعي سعيد بن حمد، 2008: 632).
- تدعيم مناهج تدريس العلوم الإسلامية المقررة بمواد دراسية مثل علم النفس وعلم الاجتماع، وطرق البحث الاجتماعي والتربصات والبحوث الميدانية وتقنيات تصميم أدوات جمع المعطيات وطرق التحليل، وغيرها من العلوم والتقنيات التي أصبحت سائدة في كليات العلوم الاجتماعية والإنسانية.

- تكثيف استعمال أوعية تكنولوجيا المعلومات من أجل تكيف برامج الدراسة وطرق التدريس في العلوم الإسلامية، وإدخال الوسائل التكنولوجية الحديثة في نقل المعلومات واكتساب المعرفة.
- التخفيف من كمية المعلومات التي يقدمها الأساتذة، من أجل توفير الوقت الكافي والتركيز على تقنيات البحث المكتبي والبحوث الميدانية، وأساليب الوصول إلى المعارف.
- التركيز على النقاش والحوار وتعويد الطلبة على النقد البناء والقدرة على إبراز آرائهم وشخصياتهم، وهي نفس المهارات والممارسات التعليمية السائدة في معاهد وكليات التعليم العالي في التخصصات الإنسانية والاجتماعية عموماً.

خاتمة:

رغم التطور المذهل الذي يعرفه العالم في مناهج، أهداف وطرق التدريس، إلا أنها (أهداف، مناهج و طرق التدريس) لم تساير التطورات التربوية والبيداغوجية الهائلة التي يعرفها العالم، لذلك وجب تكثيف العمل ومحاولة تطبيقه ميدانياً فيما اختص بأهداف وطرق تدريس العلوم الإسلامية لجعلها أقل كثافة، بالإضافة إلى تقليص اعتمادها على الذاكرة وإدخال مهارات وتقنيات بيداغوجية جديدة تسمح بالتعلم الذاتي المستقل، كما تسمح بالتركيز على تنمية مهارات الاتصال والحوار من أجل مواجهة مختلف التغيرات العالمية والتحديات المعاصرة.

لا يسعنا في هذا المقام إلا الاختتام بما صرح به المدير السابق لجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة حول تدريس العلوم الإسلامية قائلاً "إننا بحاجة إلى التجديد في طريقة تدريس العلوم الإسلامية وإلى التغيير في مناهج التربية والتعليم، لأن هذه المناهج ما تزال تعتمد على الحشو في الدماغ وكثرة المواد... وتقتل في الطالب ملكة التفكير وتدفعه إلى الحفظ، إننا بحاجة إلى بناء فكر طلبة العلوم الشرعية وليس إلى بناء ذاكرتهم فحسب. ولهذا لا بد من الاهتمام بالعلوم الرياضية والفيزيائية لأنها مفيدة للعقل، وكذلك لا بد من الاهتمام بالطبيعية"

المراجع:

- الربيعي سعيد بن حمد، (2008). التعليم العالي في عصر المعرفة: التغيرات و التحديات وآفاق المستقبل. عمان: دار الشروق للنشر و التوزيع.
- بن يمينة رقية و جيرا الزهرة، (2018). "الطرق البيداغوجية داخل الفصل الدراسي بين المتعة والهلل – دراسة ميدانية بمتوسطة غلال زين العابدين بمعسكر". مجلة الناصرية، جامعة مصطفى اسطنبولي – معسكر-، مجلد 09، العدد 02، ص 42-65.
- ديمس مصطفى نمر. (2008). استراتيجيات تطوير المناهج وأساليب التدريس الحديثة، ط1. عمان: دار غيداء.
- خطيب زوليخة، (2024). تقويم طرائق التدريس في ضوء المعايير العامة لبنائها – دراسة تحليلية مقارنة لمنهجي مادة التاريخ للسنة الأولى من التعليم الثانوي، مجلة الناصرية، جامعة مصطفى اسطنبولي – معسكر-، مجلد 15، العدد 01، ص 204-234.
- غياث بوفلجة، (2002). الأهداف والمناهج الدراسية في العلوم الإسلامية. مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد 08، ص 35-42.
- محجوب عباس، (2006). طرائق تدريس العلوم الإسلامية. الأردن: عالم الكتب الحديث.
- موريس أنجرس، (2006). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون. الجزائر: دار القصبة للنشر.